إنه كان بعد الظهر من كل يوم يزور السجون ويأمر بتعذيب الموقوفين ليمتع نفسه فيما بقي من النهار .

وفي الساعة الثامنة يجتمع الناس كلهم لصلاة المساء . وفي العاشرة ينسحب إيڤان الى غرفته حيث كان ثلاثة من الرجال العميان مكلفين بأن يرووا له الحكايا والأساطير واحداً بعد الآخر حتى ينام . إلا أن النوم لم يكن يستمر طويلاً لأن عليه في منتصف الليل أن يعود الى الكنيسة من جديد ويبدأ اليوم بالصلوات .

وكان لا بد لقصة هذه الحياة الغريبة من أن تنتشر الى الخارج . وفكر سيجسموند أوغست أن يفيد من هذا الوضع . فقد كان إيڤان يستقبل السفراء الأجانب ولم يكن من الممكن إخفاء حالته التي لم تكن طبيعية قط ، فإلى أي مدى بلغ به الجنون ؟. كان الجواب على هذا السؤال صعباً بطبيعة الحال . وقد وجه سيجسموند بسؤاله للسفير الروسي في فارصوفيا : « ما هي الأوپريتشينا ؟ » . وأجاب هذا : « ليس من وجود لذلك » . ومع ذلك فإن ملك پولونيا كان مقتنعاً بعكس ذلك لأن اللاجئين الى پولونيا كانوا يصلون كل يوم هرباً من طغيان الأوپريتشينا ويضعون أنفسهم تحت حمايته . وعندما علم بأن إيڤان يكاد يمضي كل وقته في الصلاة في الكسندروف ظن أن اللحظة قد ازفت ليقوم البويار المستاؤون بالاستيلاء على السلطة في موسكو . وهكذا بدأ عن طريق وسيط روسي اتصالاً تآمرياً مع نبلاء الزيمشينا الرئيسيين .

كانت الحكومة الفاعلة مشلولة في البلاد والأوپريتشينا وحدها هي من يصنع القانون . ولم يكن في الإمكان التظلم أو كسب أي دعوى تقام ضدها . وكان البويار يعتدى عليهم وينسرقون في ممتلكاتهم الخاصة . فكانوا يفتقرون بينما كانت الأوپريتشينا تغتني . وامتلأت بيوت أفرادها الجديدة بمنهوبات البيوت الأخرى وكان من الصعب التذمر أو التمرد . كان الرعب الذي يثيره القيصر وقدرته على الانتقام يشل كل عمل . وابتعدت التجارة عن موسكو وتذمر التجار ولكنهم لم يتجرؤوا على تقديم